مفهوم اللغة

بحث في علم اللغة

إعداد أ/ شادية بيومي حامد
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
shadia@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في الأساس الأول في مفهوم اللغة من حيث أصل اللغة من الناحية الاشتقاقية، معنى اللغة في الاصطلاح، وظائف اللغة.

الكلمات المفتاحية : أصل اللغة من الناحية الاشتقاقية ، معنى اللغة في الاصطلاح، وظائف اللغة.

I. *المقدمة*

أصل كلمة "لغة": "لغو" أو "لُغية"، يجوز فيها الاثنان بأن نغلق حركة الواو؛ لأن حركة الواو ضعيفة؛ لأنها حرف علة، والحركة تكون ثقيلة على حرف العلة، فننقل حركة الواو إلى الغين حرف صحيح ؛ لأن الواو صوت ضعيف، لا يتحمل الحركة، فنُقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها -وهذا ما نسميه "الإعلال بالنقل"- ثم حذفت الواو.

II. موضوع المقالة

أصل كلمة "لغة": "لغو" أو "لُغية"، يجوز فيها الاثنان بأن نغلق حركة الواو؛ لأن حركة الواو ضعيفة؛ لأنها حرف علة، والحركة تكون ثقيلة على حرف العلة، فننقل حركة الواو إلى الغين حرف صحيح ؛ لأن الواو صوت ضعيف، لا يتحمل الحركة، فنُقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها -وهذا ما نسميه "الإعلال بالنقل"- ثم حذفت الواو.

والعرب قد يَحذفون وقد يعوضون، وقد يحذفون ولا يعوضون، وهنا عوضوا الواو فأصبحت ساكنةً، فحذفوها، وعوضنا عنها الهاء فقلنا : "لغة" على وزن "فُعَة". وجمع لغة: لغات، أو لُغًى، أو لغون، من الفعل : لغِي، يلغَى، فعِل يفعل، أو من : لغَى يلغَى: فعل يفعَل، أو من لغى يلغو: فعل يفعُل.

كلمة "لغة" تدل في كثير من اللغات على عضو من أعضاء التكلم، وعلى اللغة.

ويجوز أن تكون كلمة "لغة" مأخوذة من اللهاة، وقلنا بأن اللهاة هذه هي قطعة اللحم المشرفة على الحلق، وهي تسمى في علم الأصوات "لسان المزمار".

مما يقوي هذا الرأي - كما قلنا- أن كلمة "لغة" وكلمة "لهاة" مشتركتان أو متشابهتان في الحروف، فعندنا كلمة "لغة" و"لهاة" اللام مشتركة بين الكلمتين، والغين والهاء من حروف الحلق التي يصح حلول بعضها محل بعض؛ فنقول : مدح ومَدَهَ، بمعنى واحد، و"أراق دمه" و"هراق دمه"، الاثنان أيضًا بمعنى واحد.

ومما يرجح هذا الرأي ويقويه أن الكلمة الدالة على اللغة تدل في الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم في كثير من اللغات؛ ففي العبرية - والعبرية أخت العربية ؛ لأنها من اللغات السامية- تستعمل كلمة "سافاه" بمعنى لغة وبمعنى شفة، وكلمة "ليشون" هي "لسان" وهي "لغة" أيضًا في العبوية، والشفة واللسان عضوان من أعضاء التكلم، والعبرية أخت العربية . وفي الفارسية - والفارسية طبعًا من اللغات الهندية الأوربية- تستعمل كلمة "زبان" بمعنى لغة، وبمعنى لسان أيضًا، وفي الإنجليزية تستعمل كلمة "تونجو" بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضًا، وفي الفرنسية تستعمل كلمة "لانجو" بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضًا.

إذن هناك تشابه بين كلمة "لغة" وكلمة "لهاة"، تشابه من حيث الحروف، اللام فيهما، والغين في لغة، والهاء في لهاة، والغين والهاء من حروف الحلق التي يصح حلول بعضها محل بعض.

فالشفة لها حالات معينة: حالة الانفراج، وحالة التدوير، وحالة كذا... إلى آخره، يبقى إذن الشفة عضو من أعضاء التكلم.

نأتي بعد ذلك إلى رأي آخر يقول بأن كلمة "لغة" ليست عربية أصيلة؛ لا نبحث في اشتقاقها من الفعل لغِ ي يلغى أو من لغا يلغو؛ لأن ه ما دامت كلمة غير عربية؛ ليس لها اشتقاق من كلمة عربية؛ لأن الذي يقول بأن الكلمة الأجنبية مشتقة من كلمة عربية يكون كالذي يقول بأن الإنسان ولد قردً ا أو كذا إلى آخره ؛ لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ولا يحدث إلا بين أمور متجانسة؛ فلا يمكن أن تلد المرأة إلا إنسانًا، ولا يمكن أن تلد القردة إلا قردًا . كما يقول السيوطي في (المزهر).

وهناك رأي الذي يقول بأن كلمة "لغة" ليست كلمة عربية أصيلة؛ ولكنها معربة - يعني مترجمة- ومأخوذة من كلمة أخرى هي كلمة "لوغوس" الإغريقية، يعزز أيضًا هذا الرأي ويقويه التشابه الكبير بين كلمة "لغة" والكلمة الإغريقية.

أيضًا يقوي هذا الرأي عدم ورود كلمة لغة بمعناها المعروف لنا في القرآن الكريم؛ فلم ترد كلمة "لغة" في القرآن الكريم، وقد عبر عنها في القرآن الكريم بكلمة "لسان"؛ أي بلغة عربية مبينة يعني بلغتك.

أيضًا مما يعزز هذا أن كلمة "لغة" لم ترد في الشعر الجاهلي أو الأدب العربي المأثور عن أدباء ما قبل الترجمة عن الإغريقية.

الاصطلاح ذاته يعني: إجماع علماء هذا الفن أو هذا الفرع من فروع المعرفة على اصطلاح معين، ولكل علم اصطلاحاته.

اللغة اصطلاحًا: عرفها ابن جني في كتابه (الخصائص) بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

فالأصوات إذا لم تكن معبرة؛ ليست لغة . لو دخلت في سوق ووجدت أصواتًا: "لا لو، عا عو، حا حي"... فإنها أصوات ليست معبرة؛ إنما لو قلت لك: "لا" أو "هل" أو "لم" فهي أصوات ولكنها معبرة؛ عندما أقول لك : هل؛ يعني أستفهم، عندما أقول لك : لا؛ يعني أنفي، عندما أقول لك: لم؛ يعني أنفي... وهكذا.

إذا كان الصوت معبرًا فإنه يدخل في تعريف اللغة؛ أما إذا لم يكن معبرًا فيخرج من تعريف اللغة.

ويعرفها ابن جني بقوله: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم -و"كل قوم": يعني أن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع يعبر بها، "كل قوم": يعني في مجتمع من الناس- عن أغراضهم"؛ يعني عن حاجاتهم وعن أفكارهم ، وعن مشاعرهم، وعن نقل الأفكار، وعن نقل المعلومات من شخص إلى آخر... إلى آخره.

ولذلك نقول: اللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها توجد وتنمو داخل المجتمع.

ومن إيحاءات تعريف القدماء نستطيع أن نقول بأن اللغة عبارة عن نظام من رموز صوتية على نسق نحوي متجانس، يستعمله كل قوم في تبادل المشاعر والأفكار، ونقل الأخبار أو الحقائق، وفي التعبير عن أغراضهم ومقاصدهم.

تعريف ابن جني للغة:

أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم- تعريف شامل وجامع ومانع ومختصر؛ لأن اللغة هي الإيجاز، صحيح أنه عرفها علماء الاجتماع وعرفها علماء المنطق وعرفها علماء الفلسفة تعريفات كثيرة.

ولكن يجمعها تعريف ابن جني:

أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . وتكلم عن طبيعة اللغة ، وطبيعة اللغة أنها أصوات معبرة داخل مجتمع.

فالأصوات هي اللبنات التي تكوّن الألفاظ، ومن الألفاظ تتكون اللغة، ولا تكون اللغة إلا داخل مجتمع.

فهي ظاهرة اجتماعية تنمو في المجتمع نتيجة اتصال أفراد المجتمع بعضهم ببعض.

فاللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها لا تنمو إلا داخل مجتمع فهذه طبيعتها؛ إذن فهي ظاهرة اجتماعية.

اللغة منحة عظمى، منحها الله للإنسان وخصه بها، وميزه عن أي كائن آخر؛ لتكون سبيله لمعرفة نفسه أولًا، ثم لمعرفة العالم الكبير حوله.

وهي في جوهرها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي نما نتيجة سعي الإنسان وولعه بتحقيق حاجاته ورغباته؛ لأنها لا تنمو إلا داخل مجتمع.

واللغة أيضًا تقوم بدور فعال في حياة الإنسان؛ فلا يستطيع الإنسان الاستغناء عن اللغة؛ فإننا جميعًا نستعمل اللغة دومًا أردنا أو لم نرد، نستعمل اللغة حتى في الحروب.

بل اللغة سلاح فتاك من أسلحة الحروب لا يقلُّ أثرًا عن القنابل والمدافع والصواريخ.

والروح المعنوية لا تقوى إلا باللغة ، ونجد شعر الجهاد عندما كان الشعراء في الجاهلية وفي صدر الإسلام يتبارون في الشعر.

فقد كان هناك ما يسمى بشعر الجهاد؛ تحميسًا للقتال وتشجيعًا على الاستشهاد.

إن مَن يملك زمام اللغة -زمام السيطرة على الكلمة المنطوقة- هو القادر حقًّا على تملك زمام الحكم.

وفي النظام الديمقراطي تقوم اللغة بدور فعال بارز في الجدل البنَّاء والنقاش المثمر وتقرع الحجة بالحجة؛ ومن ثم تسعى الدول لمحو أمية مواطنيها.

فاللغة تعدُّ أبرز عامل من عوامل الترابط الاجتماعي وتكامل المجتمع ؛ إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلًّا متراصًّا.

ومجمل القول أن للُّغة أربع وظائف:

أولا: وظيفة تعبيرية: لأننا نستعمل اللغة في التعبير عن المشاعر والأفكار وما إلى ذلك... نعبر بها عن ذاتنا، نعبر بها عما يجول في خاطرنا سواء عبرنا كلامًا أو عبرنا كتابة؛ والكلام هو العنصر الأساسي في اللغة، والكتابة تعبير ثانوي.

ثانيًا: وظيفية معرفية: نعرف ما في هذا الكتاب من أفكار، من عناصر، من معلومات، من مواد، من مادة لغوية، من مادة كلامية... إلى آخره.

ثالثًا: وظيفة اجتماعية: لا نتعاون مع الأفراد ولا نتبادل المعلومات والأشياء وما إلى ذلك إلا باللغة؛ فاللغة لها وظيفة اجتماعية، كيف تتعامل مع الآخرين؟ كيف تأخذ وكيف تعطي للآخرين؟ كيف تتبادل المشاعر والأفكار؟.

رابعًا: وظيفة وصفية : نستطيع أن نصف بها الأشياء، غير الوظيفة التعبيرية؛ فالتعبيرية نعبر بها عن هذه الأشياء ، والوصفية نصف بها الشيء وصفًا كاملًا؛ من حيث الجوانب، من حيث الأبعاد، من حيث الحدود.

المراجع والمصادر

١. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٢. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
٣. إبراهيم أبو سكين، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.
٤. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.
٥. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٦. صبحي الصالح، بيروت ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧. إبراهيم أبو سكين، علم الدلالة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.
٨. إبراهيم أبو سكين، علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.
٩. كمال بشر، القاهرة، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م.
١٠. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبلت، ١٩٩١م.
١١. إبراهيم أبو سكين، علم اللغة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧م.
١٢. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ١٩٧٢ م .
١٣. أحمد علم الدين الجندي، عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٤. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
١٥. رمضان عبد التواب، في أصول اللغة، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٦. إبراهيم أبو سكين، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.